

مغامرات أرنوب العجيب



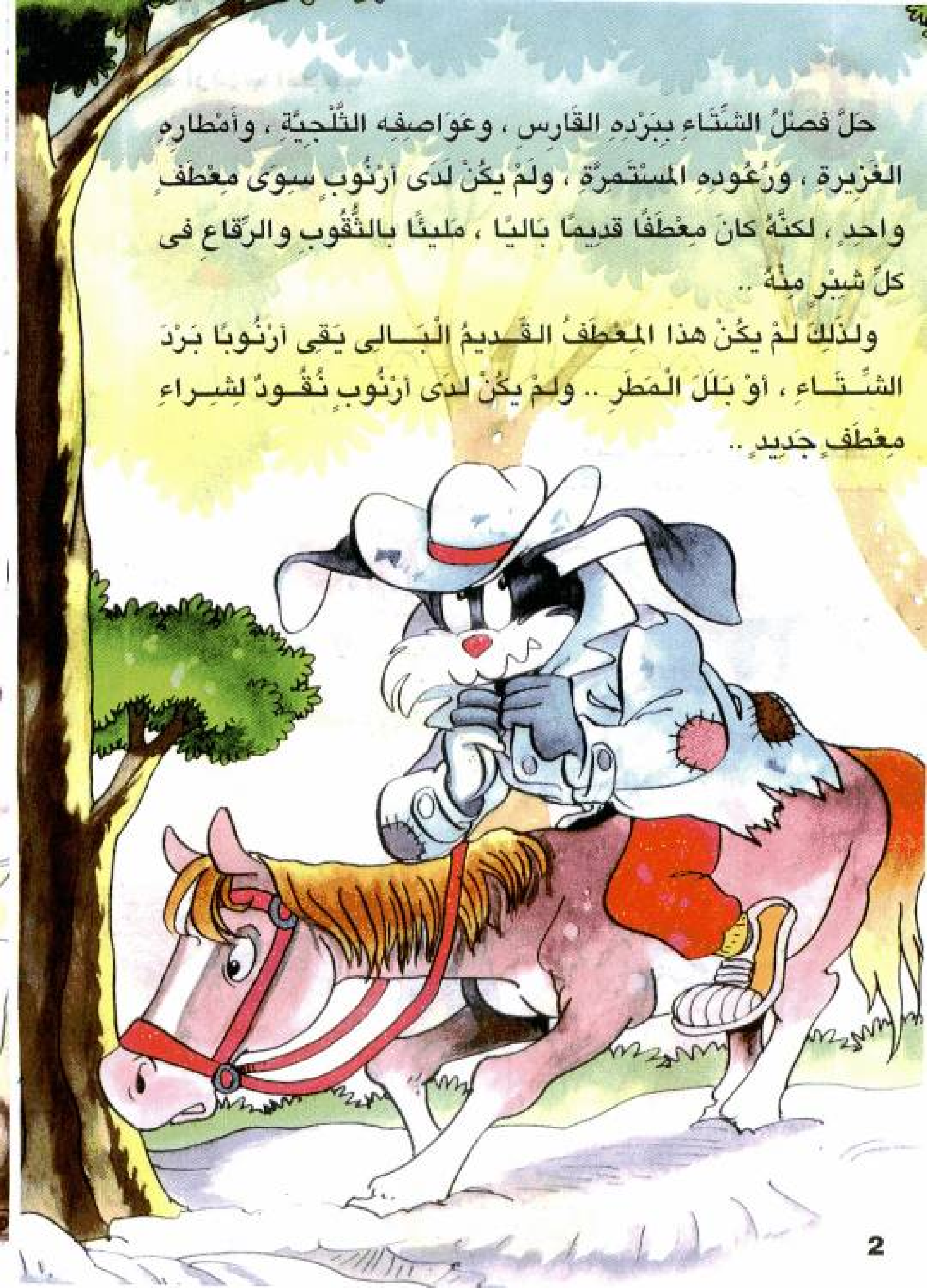
المعطف المسحور

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : عبد الشافى سيد

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

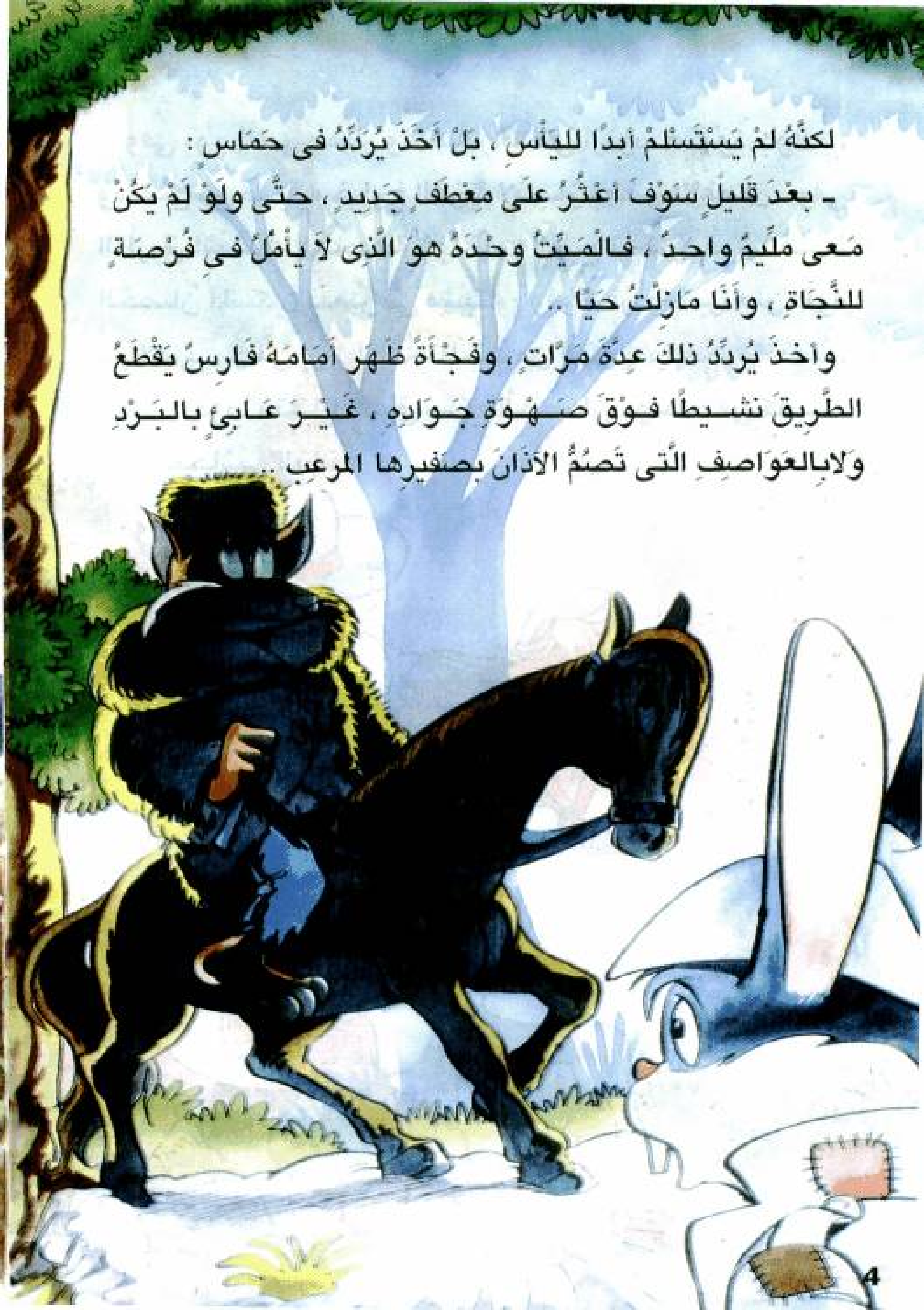
حلَّ فصلُ الشِّتاءِ ببَرْدِهِ القَارِسِ ، وعَواصِفِه الثَّلْجيَّةِ ، وأمْطارِهِ الغَزيرةِ ، ورُعُودِهِ المستَمِرَّةِ ، ولَمْ يكُنْ لدَى أرْنُوبٍ سِوَى مِعْطَفٍ واحِدٍ ، لكنَّهُ كانَ مِعْطَفًا قديمًا باليًا ، مليئًا بالثُّقُوبِ والرِّقاعِ فى كلِّ شِبْرٍ مِنْهُ ..

ولذَلِكَ لمْ يكُنْ هذا المِعْطَفُ القَديمُ البَالى يَقِى أرْنُوبًا بَرْدَ الشِّتاءِ ، أوْ بَلَلَ المَطَرِ .. ولمْ يكُنْ لدَى أرْنُوبٍ نُقُودٌ لِشِراءِ مِعْطَفٍ جَديدٍ ..





وفى يَوْمٍ ثَلْجِيٍّ مُمْطِرٍ وعَاصِفٍ امْتَطَى أَرْنُوبٌ صَهْوَةَ جَوَادِهِ ، ومَضَى فى طَرِيقِهِ خَارِجَ القَرْيَةِ لإِنْجَازِ بَعْضِ الأَعْمَالِ ، وفى الطَّرِيقِ اشْتَدَّتِ العَاصِفَةُ ، وأَخَذَتِ الرِّيحُ تَصْفِرُ بِقُوَّةٍ ، فَأَخَذَ الحِصَانُ المِسْكِينُ يَتَعَثَّرُ فى مِشْيَتِهِ ، وفَوْقَهُ أَرْنُوبٌ يَرْتَعِشُ بِقُوَّةٍ مِنَ البَرْدِ ، حَتَّى إِنَّ أَطْرَافَهُ تَثَلَّجَتْ مِنَ الْبَرْدِ ، وكَادَتْ تَتَجَمَّدُ ، وأَخَذَ أَرْنُوبٌ يَتَمَايَلُ فَوْقَ سَرْجِ الْحِصَانِ ، ويَنْفُخُ فى كَفَّيْهِ ، حَتَّى يَتَحَاشَى البَرْدَ ..



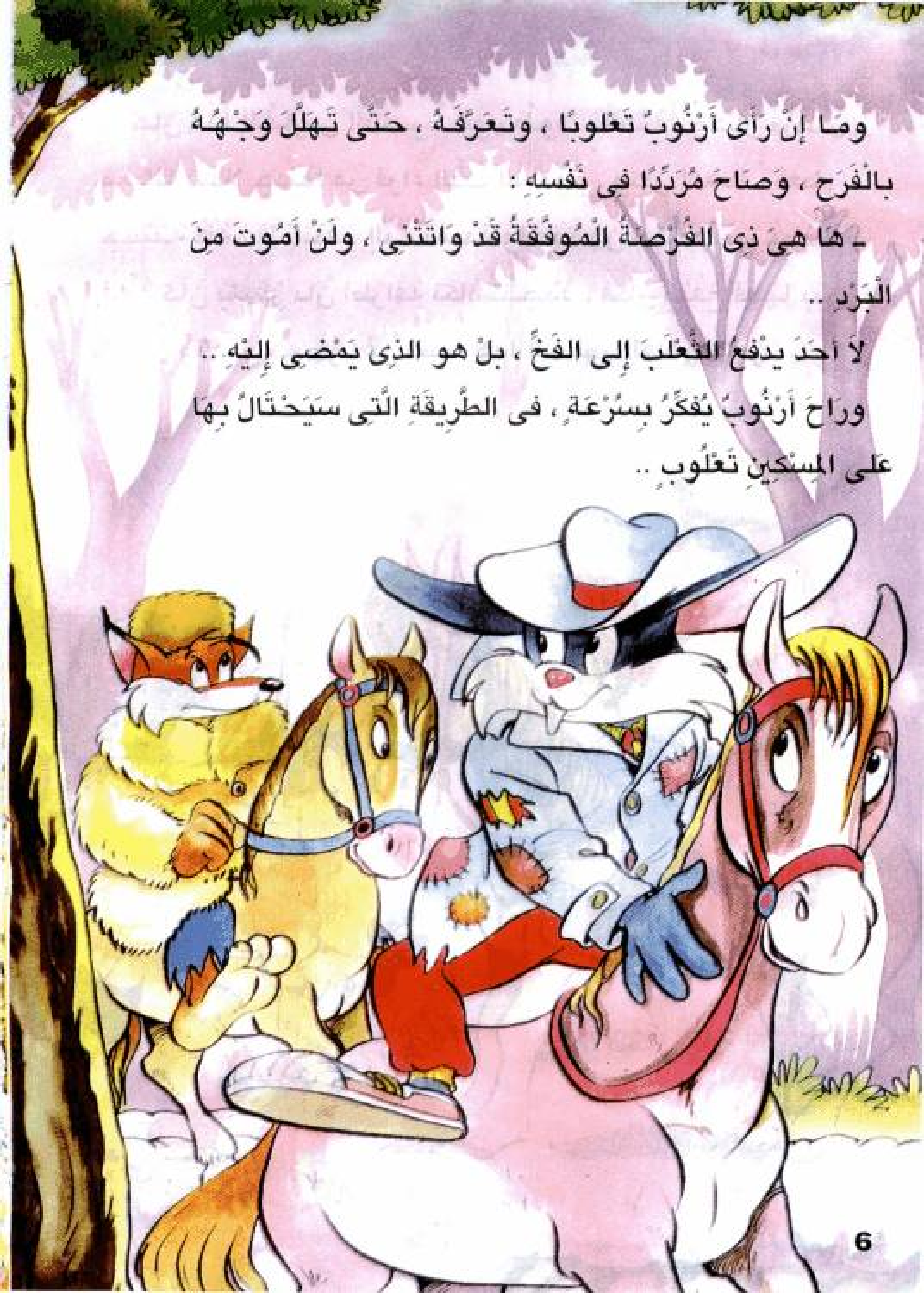
لكنَّهُ لمْ يَستَسلمْ أبدًا لليأسِ ، بلْ أخذَ يُرددُ فى حماس :

ـ بعدَ قليلٍ سوفَ أعثرُ على معطفٍ جديدٍ ، حتَّى ولوْ لمْ يكُنْ معى مليمٌ واحدٌ ، فالميّتُ وحدَهُ هوَ الذى لاَ يأملُ فى فُرصَةٍ للنَّجاةِ ، وأنا مازلتُ حيًا ..

وأخذَ يُرددُ ذلكَ عدةَ مراتٍ ، وفجأةً ظهرَ أمامهُ فارسٌ يقطعُ الطَّريقَ نشيطًا فوقَ صهوةِ جوادهِ ، غيرَ عابئٍ بالبردِ ولاَبالعواصفِ التى تصمُّ الآذانَ بصفيرِها المرعبِ ..

كـانَ هذَا الفَـارِسُ النَّشِـيطُ هوَ تَعْلُوبُ نَفْسُـهُ ، وكـانَ يرْتَدي مِعْطَفًا ثَقِيلاً جَدِيدًا مِنْ فِراءِ الدُّبِّ السَّمِيكِ ، وكانَ المِعْطَفُ يُغَطِّي جِسْمَهُ كُلَّهُ ، فلَمْ تنْفُذْ إليَه نَسمَةٌ واحِدَةٌ منَ البَرْدِ ، وبِرَغْمِ ذلِكَ فإنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بِأنَّ أطرَافَهُ تكَادُ تَتَجَمَّدُ ، فكانَ يَنْفُخُ فيـهَا بَيْنَ الحِينِ والآخَرِ ، ليَطْرُدَ عَنْ نَفْسِهِ هذَا الشُّعُورَ القَاهِرَ بالبَرْدِ ..





وما إنْ رأى أرْنُوبٌ تعْلوبًا ، وتعرَّفَهُ ، حتَّى تهلَّلَ وجْهُهُ بالْفرَحِ ، وَصاحَ مُرَدِّدًا فى نَفْسِهِ :

ـ ها هِيَ ذِى الفُرْصَةُ الْمُوفَّقَةُ قَدْ وَاتَتْنى ، ولَنْ أمُوتَ مِنَ الْبَرْدِ ..

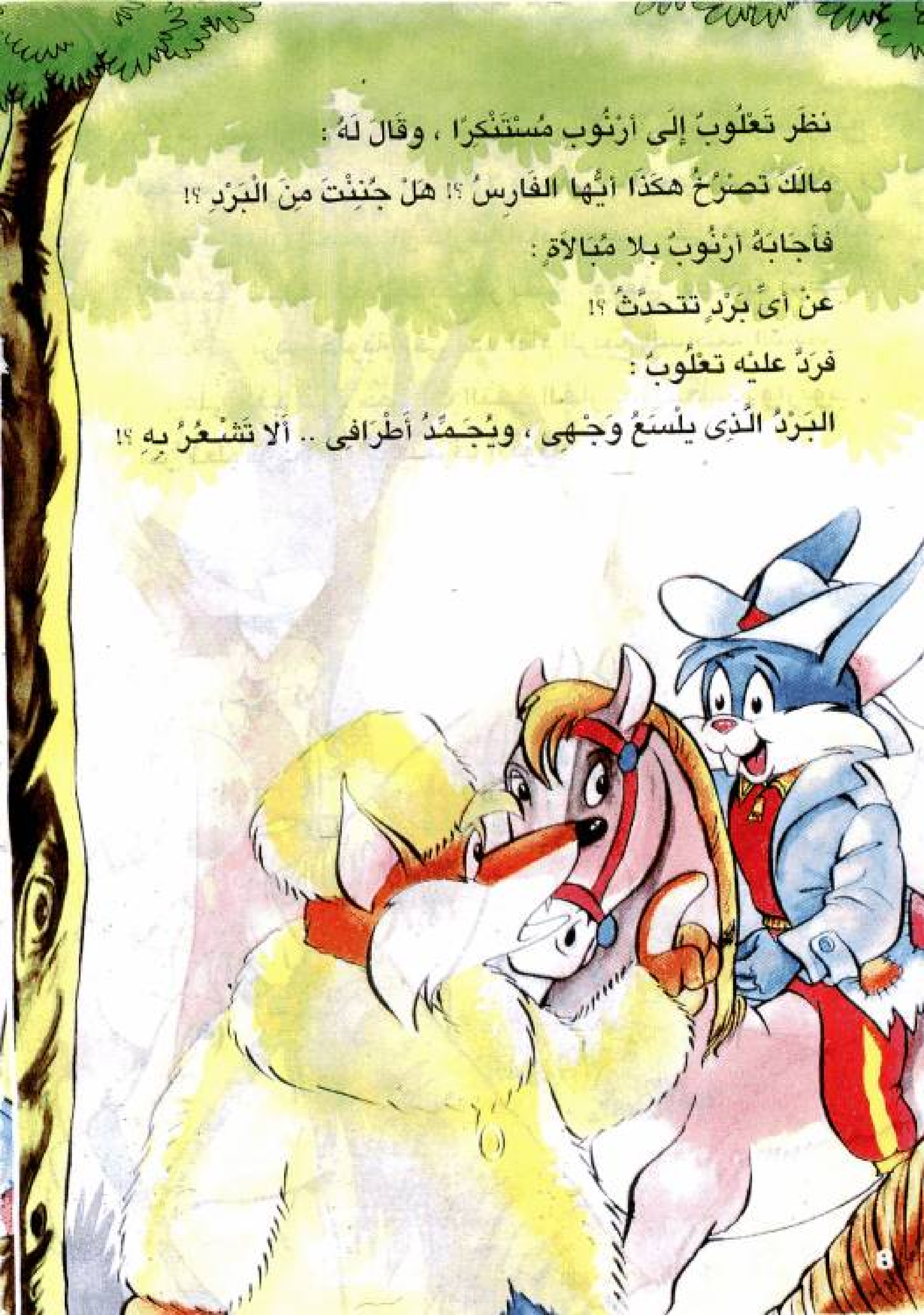
لا أحَدَ يدْفعُ الثَّعْلَبَ إلى الفَخِّ ، بلْ هو الذى يَمْضِى إليْهِ ..

وراحَ أَرْنُوبٌ يُفكِّرُ بِسُرْعَةٍ ، فى الطَّرِيقَةِ الَّتِى سَيَحْتَالُ بِهَا علَى المِسْكِينِ تَعْلُوبٍ ..

وفي الحالِ رفَعَ أرْنُوبُ (طاقيَتَهُ) إلَى مُؤَخَّرَةِ رأسِهِ ، وفَتَحَ المعْطَفَ علَى صَدْرِه ، وكأنَّهُ لا يَشْعُرُ بِالبَرْدِ علَى الإطلاقِ ، وأرْخَى عِنَانَ الحِصَانِ تارِكًا إيَّاهُ يَسِيرُ علَى هَوَاهُ وكأنَّهُ لايتعجَلُ شيْئًا ، ثمَّ أخذَ يَصْفِرُ بِفَمِهِ ، ويُغَنِّي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وكأنَّهُ في نُزْهةٍ خَلَوِيَّةٍ ، في أحدِ أيَّامِ الرَّبِيعِ السَّاطِعَةِ الشَّمْسِ ..

وعلَى بُعْدِ عدَّةِ خُطُواتٍ الْتَقَى الفَارِسَانِ ثَعْلُوبٌ وأرْنُوبٌ ، لكِنَّ ثَعلوبًا كعادَتهِ لمْ يتعرَّفْ أرْنُوبًا ..





نَظَر تَعْلُوبُ إلَى أرْنُوبٍ مُسْتَنْكِرًا ، وقَالَ لَهُ :

مالَكَ تصْرُخُ هكَذَا أيُّها الفَارِسُ ؟! هَلْ جُنِنْتَ مِنَ الْبَرْدِ ؟!

فأجَابَهُ أرْنُوبُ بلا مُبالاةٍ :

عَنْ أىِّ بَرْدٍ تتحدَّثُ ؟!

فرَدَّ عليْه تعْلُوبُ :

البَرْدُ الَّذِى يلْسَعُ وَجْهِى ، ويُجَمِّدُ أَطْرَافِى .. أَلا تَشْعُرُ بِهِ ؟!

فقَالَ أرْنُوبُ مُستَهِينًا :

أنَا لا أشْعُرُ بِأىِّ بَرْدٍ علَى الإِطْلاَقِ ياأَخِى ..

فنَظَر إليْهِ تَعْلُوبُ فى دَهْشَةٍ ، وقَالَ لَهُ :

ماذَا تَقُولُ ؟! لا تَشْعُرُ بِهذَا الْبَرْدِ الزَّمْهَرِيرِ ؟!

قُلْ كَلامًا مَعْقُولاً يا أَخِى ..

فضَحِكَ أرْنُوبُ مُستَهِينًا ، وقَالَ لَهُ :

إِذَا أرَدْتَ الحَقِيقَةَ ، فأَنَا مَسْرُورٌ جِدًا بِهَذِهِ النَّسْمَةِ الرَّقِيقَةِ ، ولوْلاَهَا لأهْلَكَنِى الْحَرُّ ..





وَوَسَّعَ أَرْنُوبُ فَتْحَةَ مِعْطَفِهِ مُمْتَلِأً الشُّعُورَ بِالاخْتِنَاقِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبُ وهو يَنْفُخُ فِى أَطْرَافِهِ مِنَ الْبَرْدِ وَقَالَ لَهُ :

هلْ جُنِنْتَ يَا هَذَا ؟! انْظُرْ إِلَى مِعْطَفِى الثَّقِيلِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَأَنَا أَكَادُ أَتَجَمَّدُ مِنَ الْبَرْدِ .. هلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُشْعِرَكَ هذا المِعْطَفُ البَالِى بِالدِّفْءِ ، أَكْثَرَ مِمَّا أَشْعُرُ بِهِ دَاخِلَ مِعْطَفِى ..

لاَ .. لاَ .. قُلْ كَلاَمًا مَعْقُولاً يَا هَذَا ..



فَتَبَسَّمَ أَرْنُوبُ وَقَالَ :

يَبْدُو أَيُّهَا الأَخُ الطَّيِّبُ أَنَّكَ لاَ تَخْلُو مِنَ الذَّكَاءِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ تَنْقُصُكَ الخِبْرَةُ والْحُنْكَةُ ...!

فَقَالَ لَهُ تَعْلُوبُ : لِمَاذَا ؟!

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبُ : لأَنَّكَ لَمْ تَفْطُنْ إِلَى حَقِيقَةِ مِعْطَفِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ سَاخِرًا : أَيَّةُ خِبْرَةٍ تَنْقُصُنِي ؛ لِكَيْ أَعْرِفَ أَنَّ مِعْطَفَكَ البَالِي يَحْتَوِي عَلَى مِائَةِ ثُقْبٍ وَثَلاَثِمِائَةِ رُقْعَةٍ ؟!



فردَّ عليْه أرْنُوبُ : يَالَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ طَائِشَةٍ تَقُولُهَا يَاأَخِى ، دُونَ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَاهَا .. لَقَدْ لاحَظْتَ فِى مِعْطَفِى مِئَاتِ الْعُيُوبِ ، لكِنَّكَ لَمْ تَفْطُنْ إِلَى أَنَّ هذِهِ الْعُيُوبَ هِىَ سِرُّ الْقُوَّةِ السِّحْرِيَّةِ الخَارِقَةِ لِهذَا المِعْطَفِ .

فَتَعَجَّبَ تَعْلُوبُ قَائِلاً : قُوَّةٍ سِحْرِيَّةٍ خَارِقَةٍ ؟! يَالَكَ مِنْ مُضْحِكٍ حَقًّا يَاأَخِى ..

فقالَ أرْنُوبُ : إِنَّهُ مِعْطَفٌ لَيْسَ مِثْلَهُ مِعْطَفٌ ؛ لأَنَّهُ مَسْحُورٌ ..



فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ : كَيْفَ ؟!

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبُ شَارِحًا : البَرْدُ وَالرِّيَاحُ يَدْخُلَانِ مِنْ ثُقْبٍ ، فَيَخْرُجَانِ عَلَى الفَوْرِ مِنْ ثُقْبٍ آخَرَ ، وَلِهَذَا أَشْعُرُ وَأَنَا دَاخِلَ هَذَا المِعْطَفِ - الَّذِى لاَ يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ - فِى أَثْنَاءِ زَمْهَرِيرِ الشِّتَاءِ ، وَكَأَنَّنِى فِى يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الحَارِقَةِ ..

سَمِعَ تَعْلُوبُ هَذَا الكَلاَمَ ، فَفَغَرَ فَاهُ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَقَالَ فِى نَفْسِهِ : يَالَهُ مِنْ مِعْطَفٍ رَائِعٍ ، وَلَكِنْ كَيْفَ أَسْتَوْلِى عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الأَبْلَهِ ؟!



وَلاحَظَ أَرْنُوبٌ ذَلِكَ ، فَنَظَرَ إِلَى تَعْلُوبٍ قَائِلاً :
فِيمَ تُفَكِّرُ يَا أَخِي ؟!
فَرَدَّ عَلَيْهِ تَعْلُوبٌ قَائِلاً : أُفَكِّرُ فِي مُبَادَلَتِكَ ..
فَقَالَ أَرْنُوبٌ : وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَتَبَادَلُ ؟!
فَقَالَ تَعْلُوبٌ : أُعْطِيكَ مِعْطَفِي الْمَصْنُوعَ مِنْ فِرَاءِ الدُّبِّ ، وَتُعْطِينِي مِعْطَفَكَ الْمَسْحُورَ ..
فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبٌ سَاخِرًا : أَنَا أُعْطِيكَ مِعْطَفِي الْمَسْحُورَ !! كَلاَّ .. بَدَلاً مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ فِي الْكَلاَمِ الْفَارِغِ أَسْرِعْ إِلَى دَارِكَ ، حَتَّى لا تَتَجَمَّدَ مِنَ الْبَرْدِ ..

فَقَالَ تَعْلُوبٌ : إذا كانَ لا يَكْفِيكَ مِعْطَفِي زِدْتُكَ عَلَيْهِ نُقُودًا ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبٌ ، ومَاحَاجَتِي إِلَى النُّقُودِ ، وأنَا أَرْتَدِي هَذَا الْمِعْطَفَ الْمَسْحُورَ ؟!

فَقَالَ تَعْلُوبٌ : إِذَنْ سأُعْطِيكَ مِعْطَفِي وحِصَانِي فِي مُقَابِلِ مِعْطَفِكَ المَسْحُورِ .. ووافقَ أَرْنوبٌ على المبادلةِ ، حَتَّى لاَ تَضِيعَ الْفُرْصَةُ مِنْ يَدِهِ ، فَنَزَعَ مِعْطَفَهُ الْبَالِيَ الْمَلِيءَ بالثُّقُوبِ ، وارْتَدى مِعْطَفَ تَعْلُوبٍ ، ثمَّ أَخَذَ الحِصَانَ وَاخْتَفَى سَرِيعًا ..





مَضَى تَعْلُوبُ سَعِيدًا بِالْمِعْطَفِ الْمَسْحُورِ ، واشْتَدَّتِ العَاصِفَةُ ، فَانْتَظَرَ أنْ يَهْبِطَ عَلَيْهِ الدِّفْءُ ، كَمَا أَوْهَمَهُ أَرْنُوبُ ، ولَكِنْ مِنْ أَيْنَ يأْتِي الدِّفْءُ دَاخِلَ مِعْطَفٍ مَثْقُوبٍ ؟!

وعِنْدَمَا تَنَبَّهَ تَعْلُوبُ إِلَى الخُدْعَةِ ، كَانَ الْوَقْتُ قَدْ فَاتَ ، فَأُصِيبَ بِنَزْلَةِ بَرْدٍ ، وهُنَا فَقَطْ أدْرَكَ أنَّ أرْنُوبًا وَرَاءَ هذِهِ الخُدْعَةِ ..

(تمت)